مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

مقالات

جَبْهَةُ المُقَاوَمَة
في اليَومِ التَالي للحَرْب

أ. يوسف محمد الشيخ

2024

www.barathacenter.com

جَبْهَةُ المُقَاوَمَةِ في اليَومِ التَالي للحَرْب

أ. يوسف محمد الشيخ

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

2024

مَركزُ بَراثا للدّراسَاتِ وَالبُحوثِ
بيروتَ - بَغدَادَ

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

جَبْهَةُ المُقَاوَمَةِ في اليَوم التَالي للحَرْب

أ. يوسف محمد الشيخ[1]

ملخَّص

يَتناول هذا البحثُ موضوعَ «جبهة المقاومة» في غرب آسيا، مُركِّزًا على غرفة عملياتِها المُشتركة ودورها ومستقبلها في ظلِّ التحوُّلات الجيوسياسية بعد حرب «طوفان الأقصى»، ويُحلِّلُ ظروفَ نشأة الغرفة، مُتتبِّعًا تطوُّرَها من مُجرَّدِ تَنسيقٍ بين حركات المُقاوَمةِ إلى تحالُفٍ أوسعَ يَشملُ فصائل من عدّةِ دُول، تحتَ مظلّة إيرانية.

ويُناقشُ البحثُ التَّحديات التي تُواجهُ الغُرفةَ، بما فيها تباينُ الرُّؤى وتَضارُبُ المَصالحِ بينَ الفَصائلِ المُشاركة، الضُّغوط الدَّولية والإقليمية، ومخاطر التَّصعيد الإقليميِّ، كما يُشير إلى التَّفاوُت في القُدرات العَسكريّةِ بين الفصائلِ والاختراقات الأمنية كعَقبات أمامَ فاعليّتِها.

ويُقدِّمُ البَحثُ تحليلاً لسيناريوهَينِ مُحتملَين:

- **سيناريو النَّجاح:** حيثُ يُؤدِّي نجاحُ «محور المقاومة» إلى تراجُعِ

1 - كاتب وباحث سياسي.

النُّفوذِ الأمريكيِّ والإسرائيليّ، وتَعزيزِ مكانةِ إيران، وإعادةِ تشكيلِ النِّظامِ الإقليميِّ، وتَغييرِ قواعدِ الاشتباكِ مع إسرائيل.

- **سيناريو الفَشل:** حيث يُعزِّزُ الفشلُ النُّفوذَ الأمريكيَّ والإسرائيليَّ، ويُضعِفُ إيرانَ وحلفاءَها، ويُكثِّفُ الضُّغوطَ على حركات المقاومة، ويُسرِّعُ التَّطبيعَ العربيَّ-الإسرائيليَّ.

ويَخلص البحثُ إلى أنَّ «محور المقاومة» ظاهرةٌ مُعقَّدةٌ، تَرتبط بمستقبل المنطقةِ وديناميكياتِ الصِّراعِ الإسرائيليِّ-الفلسطينيِّ، ويُشدِّدُ على أهمية مُراقبةِ تطوُّراتِ المِحورِ لفَهمِ تأثيرِه على المنطقة.

كلمات مفتاحية: غرفة العمليات المشتركة، الحرب اللامُتناظرة، حرب المُستضعَفينَ، رقصة النّار، وحدة السّاحات، المنويت.

مقدِّمة

تشـهدُ منطقةُ غربِ آسـيا تحولاتٍ جيوسياسـيةً مُتسـارعةً، تتداخل فيها الصِّراعـاتُ المحلِّيـةُ والإقليميّةُ مـع التَّنافُسِ بين القُـوى الدَّولية. في خضمِّ هذه التَّحوُّلاتِ، برزَ مفهومُ "محور المقاومة" كتكتُّلٍ سياسيٍّ وعسكريٍّ يَضمُّ الجمهوريةَ الإسلاميّةَ وحلفاءَها في المنطقة، بهدف مُواجَهةِ ما يَعتبرونَه هَيمنةً أمريكيّـةً وإسرائيليّةً، وتأثيراً غربيًّا على المنطقة. يتمثَّـلُ أحدُ أهمِّ مظاهرِ هذا المحورِ في تشكيلِ غرفةِ عمليّاتٍ مشتركة، تَهدف إلى تنسيقِ الجهودِ العسكريّةِ والأمنيّةِ بينَ مختلف الفصائل، سعيًا إلى خلقِ توازنِ قُوًى جديدٍ في المنطقة [1].

وإذ تُحيطُ السرِّيّةُ كثيراً من تفاصيلِ عملِ هذه الغُرفة، فإنَّ تحليلَ السِّياقِ السياسيِّ والعسـكريِّ، إضافةً إلى التَّصريحاتِ الرَّسميّةِ والتَّقاريرِ الإعلامية، يُساعد على فَهمِ ظروفِ نشأتها وأهدافها والتَّحديات التي تُواجهُها، خصوصًا في ضوءِ حربِ "طوفانِ الأقصى" في أكتوبـر 2023، التي مثَّلَتْ نُقطةَ تحوُّلٍ مفصليّةً في الصِّراعِ الإسرائيليِّ-الفلسـطينيِّ، ليس فقط لنِطاقِها وشدَّتِها غيرِ المَسـبوقة، بل أيضًا لِما كشـفَتْه من تحـوُّلاتٍ جَوهريّـةٍ في توازناتِ القُوى

1 - موقع الخنـادق الإلكتروني: الغرفة المشـتركة لفصائل المقاومة الفلسـطينية: الجبهة الموحّدة (28-12-2021) تاريخ الاطلاع (9-11-2024) على الرابط الآتي: https://tinyurl.com/2cyvxg3d.

وديناميكيات المَنطقة، مُسلطةً الضَّوءَ على مدى فعاليّة "محور المقاومة"، وقُدرته على التَّأثير في المَشهد الجيوسياسيِّ للمنطقة.

أولًا: ظروفُ تأسيس غُرفة عمليات مشتركة لمحور المقاومة

يُحيط الغُموضُ مسألةَ تَحديد تاريخ دقيقٍ لتأسيس غرفة عمليّات مشتركة رسميّة لمحور المُقاومة، فلم يُعلَنْ عن تَشكيلها بشكلٍ رسميٍّ وعلنيٍّ. ومع ذلك، يُمكنُ تتبُّعُ جذور هذا التَّنسيق فيما بعدَ حرب 2006م على لبنان، حيث برزَ التَّنسيقُ الميدانيُّ بين المقاومة اللُّبنانية والفلسطينية كبذرةٍ أوَّليّة لهذا التَّحالُف في الحرب الاسرائيليّة الأولى على غزة عام 2008م، ولم يكنْ هذا التَّنسيقُ وليدَ لحظة، بل نتاجَ تراكُمات وتطوُّرات إقليميّة مُتلاحقة، فحربُ 2006م كشفَت عن إمكانيّة التَّعاوُن الميدانيِّ بين فصائل المقاومة[1]، وهذا عزَّزَ فكرةَ توحيد الجهود في مواجهة ما يَعتبرونَه تَهديدًا مشتركًا.

ومعَ تصاعُد التَّوتُّرات في المنطقة، خاصةً بعدَ الحرب الإسرائيلية على غزة عام 2008م، ثمَّ اندلاع الأزمة السُّوريّة عام 2011م، وما تبعَها من صِراعات

1 - إبراهيم الأمين: «انتظام قوى محور المقاومة دعمًا لغزّة | شريط عمليات يمتدّ من لبنان إلى سوريا والعراق وصولاً إلى اليمن» (20-10-2023) تاريخ الاطلاع (13-11-2024) على الرابط الآتي:

https://al-akhbar.com/Politics/371495

وتَغيُّرات في توازنات القُوى، تزايدَت الحاجةُ إلى تنسيق أعمقَ بين حلفاء إيران. وهذا التَّنسيقُ لم يكنْ مُجرَّدَ رغبةٍ في التعاون، بل ضرورةً لمواجهة التَّهديدات المشتركة، وتَعزيز القُدرات العسكرية، خصوصًا مع تزايُد الضُّغوط الدَّوليّة والإقليميّة عليهم. ويمُكنُ اعتبارُ هذه الفترة مرحلةً حاسمةً في تطوُّر مفهوم "محور المقاومة"، من مُجرَّد تحالُف فَضفاض إلى كيان أكثرَ تَنظيمًا وتماسُكًا.

شهدَتْ فترةُ ما بعد عام 2018م نقلةً نوعيّةً في مستوى التَّعاوُن والتَّنسيق، مُمَهِّدةً الطَّريقَ لتَشكيل ما يُعرَف بـ "غرفة العمليات المشتركة"[1]، لم تَعُدْ هذه الغرفةُ مُجرَّدَ منصّة للتَّنسيق بين حرسِ الثَّورة الاسلامية والمُقاومتَين اللُّبنانية والفلسطينية فحسب، بل توسَّعَ نطاقُها ليَشمل فصائلَ من مختلف دُول المنطقة، بما فيها سوريا والعراق واليمن، مُشكِّلةً شبكةً مُعقَّدةً من التَّحالُفات. تُشير بعضُ التَّقارير إلى انضمام جماعات أخرى إلى هذا التَّنسيق، كبعض الفصائل العراقية، وبهذا توسَّعَ نطاقُ تأثير "محور المقاومة"، وتعقَّدَ المشهدُ الجيوسياسيُّ على أعدائه في المنطقة.

عزَّزَت عمليةُ «طوفان الأقصى» عام 2023م من أهمية غرفة العمليات كأداة للتنسيق الاستراتيجي بين فصائل المقاومة. أظهرت هذه العملية الحاجة

1 - يوسف أبو وطفة: "الغرفة المشتركة ... جسم فصائلي لإدارة المواجهة مع الاحتلال" (13-5-2023) تاريخ الاطلاع (14-11-2024) على الرابط الآتي :
https://tinyurl.com/24cuayvk

إلى اســتراتيجية موحدة وفعالة لمواجهة إسرائيل، وكشــفت عن مدى تطور قدرات هذه الفصائل وتنســيقها في مجال تبادل المعلومات الاســتخباراتية، وتنفيذ عمليات عسكرية متزامنة، وتنسيق الخطاب الإعلامي.

ثانيًا: دروس مستفادة[1]

يُواجِهُ الكيانُ المُؤقَّتُ حاليًّا تحدِّيًا قديمًا جديدًا مُتعدِّدَ المَجالات، ومن المُرجَّــحِ أنَّ جيشَ العدوِّ يتهرَّبُ منذُ اجتياح العام 1982 من خوض أكثرَ من حربٍ في وقت واحدٍ، أو ما تُســمِّيه المُؤسَّســةُ العسكريّةُ الصهيونية "تجنُّبَ القِتالِ في عدّةِ ساحاتٍ قتاليّة"، سواء كان هناكَ تقاربٌ بينَها أم لا. والتَّهرُّبُ من هذا الخِيار يَقوم على اختيار ردٍّ يَعتمد بشكلٍ أساسيٍّ على المُفاضَلةِ والتَّرتيبِ الاستراتيجيِّ بين السّاحاتِ، والمُناوَرةِ الحاسمةِ في كلِّ ساحةٍ وميدان.

منذ اجتياح العام 1982، الذي دخلَت فيه المؤسَّســةُ العسكريَّةُ الصهيونيّةُ في شَرَكِ القتــالِ مع قوى المُقاومة، التي تتبنَّى الحــربَ اللامُتماثلةَ والهَجينة، خاضَ جيشُ العدوِّ سلسلةً من نزاعات أنظمةِ الحلقةِ الواحدة القَصيرة نسبيًّا، خلال أنظمةِ

1 - يوســف الشــيخ: «أهمية الجبهة اللبنانية في معارك الدفــاع عن غزة (تحليل في الاســتراتيجية العســكرية والمبدأ التشــغيلي)". (11-2-2024) تاريخ الاطلاع (11-2-2024):

https://moqawama.news/essaydetails.php?eid=36846&cid=330

السّاحة الواحدة، وسَعى محورُ المقاومة، على مدى سنوات تشكُّله الـ 40، إلى تَقسيم قوّة العدوِّ العسكريّة عبرَ فتح جبهاتٍ أُخرى (الانتفاضة الفلسطينية الأولى والثانية والثالثة – حرب تموز عام 1993 ونيسان عام 1996 في لبنان – حرب تموز 2006 وحروب غزة في الأعوام 2009-2012-2014-2021-2022-2023)، لكنَّ العدوَّ اختارَ الاحتواءَ وتَركيزَ الجهد في ساحة رئيسيّة واحدة.

بدأ هذا الفَهمُ يتشكَّلُ عندَ العدوِّ بعدَ عمليّة سيف القدس عام 2021، ومنذُ ذلك الحين نفَّذَ جيشُ العدوِّ عمليّتَين سَريعتَين كبيرتَين في ساحة واحدة ضدَّ حركة الجهاد الإسلامي في غزة (عمليتَي "وحدة السّاحات" و «ثأر الأحرار»)، ثـمَّ أُتبعتا بعمليّة ثالثة سريعة صيفَ العام الماضي في مُخيَّم جنين "بأس الاحرار"، كان ذلك محاولةً ساذجةً من العدوِّ للتهرُّب من حرب السّاحات المُتعدِّدة من خلال ما اصطَلَحَ على تسميته بخوض "أيام قتالية"، حيث إنَّ التَّقديرَ الاستراتيجيَّ لقيادة العدوِّ كان يُلزِمُها بتجنُّب التَّحدِّي الجديد مُتعدِّد الأوجُه، وهو عودةُ التَّهديد الخطير إلى الجبهة الدّاخلية "الإسرائيلية".

وهذا ما لفتَ إليه رئيسُ الأركان الجديدُ الجنرال (هرسي هاليفي - Herzi Halevi) في خطاب تسلُّمه منصبَه من سَلَفه الجنرال (آفيف كوخافي - Aviv Kohavi)، حيثُ أشارَ (هاليفي) بأسلوبٍ هو أقربُ إلى الاستشراف أنَّه: «تُعَدُّ القُدرةُ على إدارة حَملة مُتعدِّدة السّاحات، يتمُّ إجراؤُها في كلٍّ من الدّائرتَين الأولى (غزة – لبنان – سوريا) والثانية (إيران – العراق – اليمن)،

تحدِّيًا جديدًا نسبيًّا للقيادة العُليا لجيشِ الدِّفاعِ الإسرائيليِّ»[1].

لكنَّ كلَّ كوابيسِ الكيانِ المُؤقَّتِ خرجَت دفعةً واحدة بعد 7-10-2023، حيثُ إنَّ الأسلوبَ العسكريَّ الذي اعتمدَهُ جيشُ العدوِّ في الردِّ على عمليّة " طوفان الأقصى" فتحَ على كيانه "صندوقَ باندورا"، فمُنذ اليوم الثاني دخلَتْ جبهــةُ لبنانَ، وخلال أيّامٍ دخلَت جبهاتُ العراقِ واليمن وســوريا، في حربٍ من نَوعٍ جديدٍ، هدفُها الرئيسيُّ كبحُ جماحِ الوَحشِ الذي أطلَقَ آلَتَهُ العسكريَّةَ المُدمِّرةَ على غــزّةَ، والأمنيّةَ على الضِّفّةِ الغربيّة، وانغمــسَ سريعًا بخُطواتٍ انتحاريّــة، فرضَتْ على محور المُقاوَمة بأجمعــه وللمرّة الأولى إطلاقَ جهدٍ عسكريٍّ مُمتدٍّ لمُؤازرةِ ومُساندَةِ الجهدِ الرَّئيسيِّ للمُقاوَمةِ الفلسطينيّةِ في غزّةَ والضِّفّة، وحيثُ إنَّ الأثرَ المَعنويَّ والتَّراكميَّ للعاملَينِ العراقيِّ واليَمنيِّ كان حاســمًا، فإنَّ العاملَ اللُّبنانيَّ الذي يُعتبرَ "فيزيائيًّا» الأقربَ اشتباكًا معَ العدوِّ كانَ الجبهــةَ التي حســمَت نطاقَ الــرَّدعِ للعدوِّ، وانتزعَتْ منــه كلَّ مبادراتِ الحسمِ.

وهنــا بيتُ القَصيــد، حيث إنَّ العمليــةَ البرِّيةَ في غزة أُطلقت بالأســاس لاســتعادة عنصرَي الرَّدع والحَســم المَفقودَينِ، بعدَ أنْ أصبحَتِ المُطاولاتُ

1 - يوســف الشــيخ: "أهمية الجبهة اللبنانيــة في معارك الدفاع عن غــزة (تحليل في الاستراتيجية العسكرية والمبدأ التشغيلي)». (11-2-2024) تاريخ الاطلاع (11-2-2024): https://moqawama.news/essaydetails.php?eid=36846&cid=330

العسكريّةُ، التي بدأتْ منذ حرب تموز/ يوليو 2006 بهدف تَرميم الرَّدعِ واستعادةِ القُدرة على الحَسم، واستمرَّتْ مع حروب غزّةَ الستِّ بين عامَي 2009 و2023 دون جَدوى. فإنَّ الوَحشَ الصهيونيَّ الجريحَ والمَذلولَ، الذي فُوجِئَ بلَيلة 7-10-2023، دخلَ في مغامرةٍ غيرِ محسوبة ستُثبتُ الأيامُ أنَّها حملةٌ ذات أهداف عسكرية تعبوية ، وليسَ لها أيُّ تخطيطٍ استراتيجيٍّ.

لقد فرض الإيقاعُ المقاومُ على العدوِّ العملَ بخلاف ما تُمليه مدارسُ الحرب، فشَنَّ جيشُه على غزّةَ حربًا أقلَّ ما توصَف بها في العِلمِ العسكريِّ بأنَّها أعمالُ مُداهَمة عسكريّة لعدوٍّ خفيٍّ تتواكب مع توحُّشٍ عسكريٍّ جوِّيٍّ شاملٍ ضدَّ بيئة المُقاوَمة المَدنيّة الحاضنة، وليستَ كما يَصفُها الخبراءُ بأنَّها حربٌ مُدمَجةٌ بريِّةٌ جوِّيةٌ، وبأنَّ الحرب على «الضاحية» بحرب «الصَّدمة والرُّعب».

فللحربِ "البريِّة الجويّة» شروطُها، التي حاولَ الجنرالُ الطَّيّارُ (دان حالوتس - Dan Halutz)، رئيسُ أركانِ جيشِ العدوِّ السّابق، تَطبيقَها في حرب تموز/يوليو 2006، خلال 33 يومًا، لكنَّه فشلَ واعترف بعدَها بفشلِه وفشلِ نظريّته التي كانَت تعتمدُ على خطة "العُقاب والأفعى"، التي ابتكرَها عام 1995م رئيسُ استخباراته العسكرية الجنرال (عاموس يدلين - Amos Yadlin)، وهو ضابطٌ طيّارٌ أيضًا، وطُبِّقَت خلال حرب نيسان/أبريل 1996 دون فائدة أو جدوى.

إنَّ هذه الخلطةَ الغريبةَ من مدارس وطرائق القتالِ التي يُطبِّقُها العدوُّ

في ميادين غزّةَ بشكل رئيسيٍّ ولبنان بشكل نسبيٍّ (الحرب البرِّية الجوِّية – حرب عقيدة الضاحية – حرب الصَّدمة والرُّعب (التَّرويع)) تَدفعُه إلى التخلِّي عن قوائمه الرَّئيسيّة في الحروب، التي شنَّها منذ العام 1948م على أساس استراتيجيّاتٍ وأُصولٍ، أهمُّها:

1 - تطبيق الاستراتيجية التشتيتية، وعزل مسارح العمليات[1]

لتطبيق ذلك، يَنبغي للقُوّةِ المُهاجمة أن تَلجأ إلى مَفهوم الاقتراب غير المباشر، والعملِ على أكثرَ من جبهة، في آن واحد؛ لتَشتيت الخصم، وتَثبيط قُوّاته. وليسَت الاستراتيجيّةُ، التي حملَت مفهومَ الحربَين ونِصفَ الحرب، أو الحرب ونصف الحرب، إلا تعبيراً عن هذه الاستراتيجية. إلا أنَّ جيشَ العدوِّ استبدلَ الاستراتيجيّةَ التَّشتيتيّةَ باعتماد أسلوب العملِ بمنطقَين قتاليَّين، الأول هجوميٌّ في غزة، والثاني دفاعيٌّ "احتكاكيٌّ" في الجبهة اللُّبنانية، وحاول من خلال هذَين المَنطقَين تَفريقَ مسرح العمليّات اللُّبنانيِّ عن المَسرح الفلسطينيِّ، إلا أنَّ المقاومةَ التي كانت تُقاتل بمَنطقِ التَّعاوُن وضعَت في خطّتها الأساسيّة مَفهومَين جوهريَّين:

---

1 - يوسف الشيخ: «أهمية الجبهة اللبنانية في معارك الدفاع عن غزة (تحليل في الاستراتيجية العسكرية والمبدأ التشغيلي)». (11-2-2024) تاريخ الاطلاع (11-2-2024):

https://moqawama.news/essaydetails.php?eid=36846&cid=330

الأول: قتالُ العدوِّ بنظامِ الحَشدِ والكتلةِ المُوزَّعة، وذلك لاستدراجِ أُصولِ العدوِّ العسكريةِ إلى أكثرَ من جهةٍ، ومنعِهِ من توجيهِ الحشدِ الكافي لغزة.

ثانيًا: القتالُ بأسلوبَينِ عمليّاتيَّينِ في آنٍ واحد، يُجبِرانِ العدوَّ على تَشتيتِ جهدِه وتَركيزِه (بين دفاعٍ وهجوم) على مستوى الاستراتيجيّةِ العسكرية:

1. الأول دفاعي "تعرُّضيّ" في غزة، حيث قامَتِ المُقاوَمةُ الفلسطينيّةُ بتَعطيلِ مُناوَرةِ العدوِّ الشّاملةِ من خلالِ القِتالِ من جهةٍ داخليةٍ بطَريقةِ الخَفاءِ والعملِ التَّعرُّضيّ.
2. الثاني دفاعيٌّ هجوميٌّ "احتكاكيٌّ" على الجبهةِ اللُّبنانية، هدفُه سلبُ فاعليّةِ ترسانةِ الأسلحةِ والمزايا التُّكنولوجيةِ للعدوِّ، وتحييدُها بشكلٍ جُزئيٍّ أو نهائيٍّ عن الميدان، وهذا النَّموذجُ من القتالِ يُعتبرُ جديدًا ومُبتكرًا، بحيثُ يُلغي تأثيرَ الحافةِ الأماميّة، ويَجعلُ القتالَ كلَّهُ تَقريبًا مُؤثِّرًا في منطقةِ مَسؤوليّةِ العدوِّ، فيَسلبُ منه المبادأةَ والمبادرةَ، ويَجعلُ سلوكَهُ القتاليَّ أقربَ إلى عمليّاتِ رَدَّاتِ الفعل، التي تُقابلُها المقاومةُ بالضَّغطِ أكثرَ على نطاقِه الدِّفاعيِّ الرَّئيسيّ، وتَجعلُه بلا جَدوى، وتَفرضُ عليه الاعتمادَ على خطِّ الدِّفاعِ الثّاني، قاطعًا الاشتباكَ القريبَ، ومُحوِّلًا المَعركةَ إلى «مُطاوَلةٍ» تَعبويّة.

ثالثًا: مدارس الحرب وقتال القوة الموزعة

يقولُ الفيلسوف الصينيُّ (صن تزو - Sun Tzu) في كتابه «فنّ الحَرب» في الفصل المُعنوَن "الحالات التِّسع": "يُمكِنُ تَشبيهُ التَّكتيك الماهر بالثُّعبان شواي-جان، الذي تجدُه في جبال شانج، فما إنْ تضرب هذا الثُّعبانَ عند رأسه حتى تجده يُهاجِمُك بذَيله، وما إنْ تَضرب ذيلَه حتى يُهاجِمَك برأسه، وما إنْ تَضربْهُ في منتصف جسمه حتى يَهجم عليكَ برأسه وذَيله»[1].

هذا التَّكتيكُ يَعتمدُ على جميع قُوى الجسم المُقاوِم في الدِّفاع والتعرُّض، ويتميَّزُ أنَّه يُعبِّرُ عن قُدرات صَعبة الهَزيمة تَستخدم مبدأ الحَشد بالطَّاقة الجماعيّة للجسم المُجزَّأ، ويعتقد صن تزو أنَّ هذا النَّوعَ من التَّكتيكات الذي يَصفُه بالماهر نهجٌ لا يُقهَرُ في الدِّفاع، ويَنصح به في معظم استراتيجيات الدِّفاع.

هذا التَّكتيك أشار إليه أيضًا الثائرُ الأمميُّ الأرجنتينيُّ الشَّهير (أرنستو تشي غيفارا) في كتابه "حرب العصابات"، فيما يُعرَفُ بتكتيك رقصة النّار

1 - صن تزو: فن الحرب (نسخة إلكترونية) تاريخ الاطلاع (15-11-2024) غلى الربط الآتي:
https://archive.org/download/diwan_20170920/%D981%%D920%86%%D8%A7%D984%%D8%AD%D8%B1%D8%A8.pdf

أو تكتيـك " المنويت"[1]، حيـث يُلخِّصُ هذا التَّكنيـك القتاليَّ بالتالي: «خصائـصُ هذه الحرب الحركيّة ما يُسـمَّى بالمنويت (وقد أُطلقت هذه التَّسميةُ بالقياسِ على الرَّقصة المعروفة بهذا الاسم)، حيث تُطوِّقُ جماعةُ العصاباتِ مَركزًا للعدوِّ، وليكنْ على سبيل المثال قوة مُتقدِّمةً، وتحاصرها تمامًا من الجهات الأربعِ بخَمسـة أو ستّةِ رجالٍ في كلِّ ناحية، شريطةَ أن يكونوا على مبعدةٍ كافيةٍ خشـيةَ أن يُصبحوا هم أنفسُـهم مُطوَّقينَ، ويَبدأُ القتـالُ في أيّةِ ناحيةٍ من النَّواحي، فيَتحـرَّكُ الجيشُ في اتِّجاهها، وعندئذ تتراجـعُ جماعةُ العصاباتِ بـشرطِ ألاّ تَفقدَ اتِّصالَها البَـصريَّ . . ثمَّ تَبدأُ هجومَها من ناحية أُخرى، ويُكرِّرُ الجيشُ ما سبقَ أن فعلَه، وكذلكَ تفعلُ جماعةُ العصابات، وبذلك يُمكِنُ تَجميدُ قوّةِ العدوِّ وإجبارُها على خسارة كمياتٍ كبيرةٍ من الذَّخيرةِ، وإضعافُ معنوياتِ فرقِ العدوِّ، دون أن تتجشَّمَ العصاباتُ أخطارًا كبيرة».

ويقول أيضًا: «إذا تمكَّنَت جماعـةُ العصاباتِ خلالَ الحرب من الإحاطةِ بالمُدُنِ، والتَّوغُّلِ في أريافِها المُجاورةِ، بطريقةٍ تُمكِّنُها من تأسـيس نفسِها في ظروفٍ مأمونةٍ إلى حدٍّ ما، فسوفَ يَلزمُ تَلقينُ هذه الجماعاتِ المُساعِدةِ تعليمًا

1 - أرنستو تشي غيفارا: حرب العصابات (نسخة إلكترونية)، ص8. – تاريخ الاطلاع (2024-11-15) على الرابط الآتي: https://tinyurl.com/28mclb8q

خاصًّا أو بالأحرى تنظيمًا خاصًّا. ومن الأمور الأساسيّة التي يَجبُ أن نتعرَّفَها أنَّ جماعات العصابات المُساعدة لا يمُكنُ أن تَبرُزَ من تلقاء نفسها، إنَّما هي تُولَدُ بعدَ أن تتوفَّرَ شروطٌ مُعيَّنةٌ لوجودها. ولهذا تكون العصاباتُ المُساعدةُ خاضعةً على الدَّوام للأوامر المُباشرة التي يُمليها القوادُ المُقيمونَ في مناطق أخرى. فليسَت مهمَّتُها هي القيام بأعمالٍ مُستقلَّة، بل أن تُوائمَ نشاطاتها مع الخطط الاستراتيجية الشاملة، بحيثُ تَدعم أعمالَ مجموعاتٍ أكبرَ مُقيمةٍ في منطقةٍ أُخرى، وتتعاون معها على وجهٍ أخصَّ لإنجاحِ غرضٍ تكتيكيٍّ مُحدَّدٍ»[1].

ممّا سلفَ يتعامل القادةُ والمُنظِّرونَ الكبارُ لعلمِ فنِّ الحربِ، الذين ذكرناهُم آنفًا، مع قوات المقاومة المُوزَّعة في حالة الدِّفاعِ على أنَّها كتلةٌ واحدةٌ، ولكن بمُميِّزاتٍ خاصّةٍ في توزُّعِ المهامِّ والاختصاصات، وفي تفاوُتِ أدوارِها في مُستوياتِ القتالِ من الاستراتيجيِّ إلى التَّكتيكيِّ، وهذا عينُ ما تُعبِّرُ عنه هيكليّةُ محورِ المُقاوَمةِ في الوقت الحالي، ولكنْ باستراتيجيّةِ الدِّفاعِ الهُجوميِّ. فقد طوَّرَ محورُ المُقاوَمة من نظريّته (استراتيجية الاقتراب المُوزَّع) التي عملَ الشَّهيدُ القائدُ (الحاجُّ قاسم سليماني) أكثر من 25 عامًا لبنائها وتَثبيتِها، ودَفعَ حياتَه الشَّريفةَ ثمنًا لها، وهي باختصار استراتيجيّةٌ تَقوم على إحاطة "إسرائيل"

1 - أرنستو تشي غيفارا: حرب العصابات (نسخة إلكترونية)، ص32. - تاريخ الاطلاع (15-11-2024) على الرابط الآتي: https://tinyurl.com/28mclb8q

بالتَّهديد من كلِّ الجهات، بشرطِ عدمِ الدُّخولِ بشكل جماعيٍّ في أيِّ مواجهةٍ تَنشـأ مع ضلعٍ من أضلاعِ المحور، إلا في لحظة اسـتراتيجيّة مناسبة. وحتى حدوث تلك اللَّحظة، فإنَّ المحورَ يَقوم بتفعيل العناصرِ التي تُشكِّلُ مُجتمعةً تلك الاستراتيجيةَ، وأهمُّها: تَعميم القُدرة، تراكُم الخبرات، الرَّدع النَّموذجيّ، مكافحة الاستنزاف، واللَّحظة الاستراتيجية[1].

هذا المدماكُ الـذي أثبتَ وجودَه العمليَّ خلال معركة "سـيف القدس 2021" عائدٌ إلى عدّةِ عواملَ بنيويّةٍ أهمُّها تَوزيعُ المَهامِّ والأدوارِ على الشَّكل التالي:

1. إيران ركنُ نقـلِ وصَقلِ الخـبرات، ومركزُ التَّصنيعِ العسـكريِّ وتَطويرِ وسـائلِ القتال، والبوّابةُ الرَّئيسـيّةُ للجهـد الدُّبلوماسيّ والدَّعم الماليّ والاستشاري والتَّسليحي والتُّكنولوجي.
2. سوريا بما كان لها وقتها من دور كدولةُ حضانةٍ واستضافةٍ ونقلٍ، وبيئةٌ لوجستية استراتيجية.
3. اليمن ركـنُ الاقتـدار الجيوبوليتيكي على بوابـة البحر الأحمر الجنوبيـة، التـي تُعتبرُ إحدى أهـمِّ مفاتيح العالَـمِ الاقتصادية،

1 - عماد عقل: «من 'سـيف القدس' إلى سهول القليلة (استراتيجية الاقتراب الموزع)»، (1-5-2023) تاريخ الاطلاع (15-11-2024) على الرابط الآتي: https://tinyurl.com/243d9xmp

ومنطقةَ الضَّغطِ على العدوِّ من خلال حصارها البَحري الاقتصاديله.

4. العراقُ دولةُ تفاعُلِ قُوى، وعُقدةُ الوَصلِ بين المحورِ ومركزِ تَشتيتِ القُوى الغربية المُساندة لإسرائيل.
5. لبنان بلدُ المقاومة، ومركزُ الاستنزاف النَّوعيِّ لـ "إسرائيل»، وميدانُ التَّخريبِ لمشاريع واشنطن والغرب في غرب آسيا.
6. فلسطين نموذجٌ سياسيٌّ عسكريٌّ، وقدوةٌ جهاديّةٌ للعالَمِ الإسلاميِّ لاستنهاض بقيّةِ الأمة.

رابعًا: أهداف غرفة العمليات[1]

تَسعى غرفةُ العمليات المشتركة إلى تحقيق مجموعةٍ من الأهداف المُترابطةِ، التي تمُثِّلُ رؤيةَ «محور المقاومة» لدَورِه في المنطقة:

- **تعزيز التنسيق العسكري والأمني:** يتمثَّلُ هذا الهدفُ في رفع مستوى التَّنسيقِ العسكريِّ والأمنيِّ بين الفَصائل، وتبادُلِ المَعلوماتِ الاستخباراتيّة والخبرات القتالية، وتطوير استراتيجيات عسكرية مُشتركة. يَشمل هذا التَّنسيقُ تدريبَ

1 - مركز دراسات غرب آسيا: «ما هي القيمة الاستراتيجية لغرفة العمليات المشتركة؟" (11-5-2023) – تريخ الاطلاع (14-11-2024) على الرابط الآتي : <https://tinyurl.com/2cxbxvpt>

المُقاتلينَ، وتطويرَ الأسـلحة والصَّواريـخ، وتبادُلَ التَّجاربِ في مجالاتِ الحرب الإلكترونية وحربِ العصابات. كما يَهدف إلى تطوير استراتيجيّاتٍ فعّالّة للرَّدِ على الاعتداءات الإسرائيلية، ورفع مستوى الجاهزية القتالية.

- **توحيد الجهـود في مواجهـة التَّهديدات المشـتركة:** يُنظَرُ إلى الولايات المتحـدة وإسرائيل كتَهديدٍ رئيـسيٍّ لمحور المقاومة، وتَسعى الغرفةُ إلى توحيد جهودِ الفصائل في مواجهةِ هذا التَّهديد، سـواء من خلال الردِّ على الاعتداءاتِ أو مـن خلال بناء قدراتٍ عسكريّةٍ لردعِ هذه القوى.
- **دعم المقاومة الفلسطينية:** تمُثِّلُ القضيةُ الفلسطينيّةُ محوراً أساسيًّا لعمل محور المقاومة، وتُعتبرُ غرفةُ العمليـاتِ أداةً مُهمّةً لتَقديم الدَّعمِ الماديِّ واللُّوجستيِّ والعسكريِّ للفصائل الفلسطينية، بما في ذلك توفيرُ الأسلحة والأموال والتَّدريب.
- **خلق قوّةِ ردعٍ إقليمية:** يَسعى المحورُ، من خلال غرفةِ العمليّاتِ، إلى خلـقِ قُوّةِ ردعٍ إقليميّةٍ تُجبر إسرائيلَ والولايات المتحدة على إعادة حساباتِهما قبلَ شنِّ أيِّ هجماتٍ مُستقبليّة.
- **تعزيـز النُّفوذ الإقليمـيِّ لإيران:** تُعتـبرُ إيرانُ الدَّاعـمَ الرَّئيسيَّ لمحور المقاومة، ويُنظر إلى غرفة العملياتِ كمؤسَّسةٍ ناجحة،

ساعدتها وواكبتها الجمهوريةُ الإسلاميّةُ منذُ كانت فكرةً حتى أصبحت حِلفًا قويًّا، ولا يَخفى السَّعيُ الايرانيُّ المُثابرُ لإثبات قـدراتِ هذا الحِلف وتوسـيع دائرتِه وتعزيـز حضوره ونفوذه الإقليمي.

1 - الدَّور الإيراني ومفهوم "المعاهدة الدِّفاعية»

تلعبُ إيرانُ دورًا محوريًّا في غرفة العمليّات المُشتركة، فهي تُشرفُ على التَّنسيق بين الفصائل، وتُقدِّمُ الدَّعمَ الماديَّ واللَّوجستيَّ والعسكريّ، وتُقدِّمُ الخبراتِ والمَشـورةَ العسـكريّةَ، وجاءت مبـادرةُ البَرلمانِ الإيـرانيِّ لإعداد "معاهدة دفاعية لمحور المقاومة"[1] في أواخر عام 2023، لتعكسَ رغبةَ إيران في إضفاء طابعٍ رسميٍّ على تحالفاتِها وتكريس مفهوم "الدِّفاع المُشترك».

تُمثِّـلُ هذه المعاهـدةُ، التي يَعمـل الجميعُ عـلى تطبيقها، تحـوُّلًا كبيراً في ديناميكيـات المنطقة، حيث سـتُلزمُ جميـعَ أطراف "محور المقاومـة" بالتدخُّل عسكريًّا في حال تعرُّضِ أيٍّ منهم لهُجومٍ، وإنْ أدَّى ذلك إلى تصعيد واسعِ النِّطاق.

1 - موقع ميدل إيست نيوز الإلكتروني: «البرلمان الإيراني يعلن عن معاهدة دفاعية مشتركة لـ 'محور المقاومة' ضد 'إسرائيل'»، (18-1-2021) تاريخ الاطلاع (7-11-2024) على الرابط الآتي: <https://tinyurl.com/2a5yv8to>

2 - تحدِّياتٌ تُواجِهُ غرفةَ العمليات[1]

تُواجِهُ غرفةَ العملياتِ تحدِّياتٌ عديدةٌ، تُهدِّدُ فعاليّتَها وتماسُكَها:

- **تباين الـرُّؤى والمصالح بين الفصائل:** عـلى الرَّغم من وجود هدفٍ مشـتركٍ، إلا أنَّ هنـاك تباينًا في الـرُّؤى والمصالح بين الفصائـل، وهذا يُـؤدِّي إلى صعوبـاتٍ في التَّنسـيق واتِّخاذ القرارات، فلـكلِّ فصيلٍ أولوياتُه الخاصّةُ وسياسـتُه الدّاخليّةُ التي قد تتعارض مع أهداف الغرفة.
- **الضُّغوط الدَّوليّةُ والإقليمية:** يتعرَّضُ "محور المقاومة" لضغوطٍ دوليّـةٍ وإقليميّةٍ كبيرةٍ، بهـدف إضعافـه وتَفكيكه، من خلال العقوبـات الاقتصادية والحمـلات الدُّبلوماسـية والعمليّاتِ الاستخباراتية.
- **مخاطر التَّصعيد وانـدلاع حربٍ إقليمية:** يُمكِـنُ أن يُؤدِّي أيُّ تصعيدٍ في التوتُّرات إلى اندلاعِ حربٍ إقليميّةٍ واسـعةِ النِّطاق، ذات عواقبَ وخيمةٍ على المنطقة بأكملها.
- **الاختراقـات الأمنية:** تُشـكِّلُ الاختراقاتُ الأمنيّـةُ تحدِّيًا كبيراً لغرفة العَمليات، حيث يُمكِن أن تُؤدِّي إلى تسريب معلوماتٍ

1 - صالح الحاج حسـن: معركة سـيف القدس في الميزان، (29-4-2022) تاريخ الاطلاع : 8-11-2024 على الرابط: <https://tinyurl.com/234fkzft>

حسّاسة، وتَقويضِ جهودِ التَّنسيق، وتعريضِ أمنِ الفصائل للخطر. يتطلَّبُ هذا التحدِّي تطويرَ آلياتٍ أمنيّةٍ صارمةٍ لحِمايةِ الاتِّصالاتِ وتبادُلِ المَعلومات.

- **التَّفاوُت في القدرات العسكرية:** يُوجد تفاوتٌ كبير في القدرات العسكرية بين فصائل "محور المقاومة"، وهذا يُعيق مؤقَّتًا تطويرَ استراتيجياتٍ عسكريّةٍ مشتركة فعّالة.

خامسًا: التأثير الجيوسياسي لحرب طوفان الأقصى على محور المقاومة

مثَّلَت حربُ «طوفان الأقصى» في أكتوبر 2023 اختبارًا حقيقيًّا لفاعلية «محور المقاومة» وقدرته على تَغيير قواعدِ اللُّعبة في الصِّراع الإسرائيلي – الفلسطيني. وأظهرَتِ الحربُ مدى تطوُّر قدراتِ الفصائل الفلسطينية، لا سيَّما في مجال العمليات الهجومية والاستخباراتية، وهو ما أثار دهشةَ كثيرٍ من المُحلِّلينَ العَسكريِّينَ. إلّا أنَّ الأكثرَ إثارةً للدَّهشة هو مستوى التَّنسيق الذي ظهرَ بين هذه الفصائل، والذي يُشير إلى تحوُّلٍ استراتيجيٍّ في طريقة عمل محورِ المقاومة، وقاد ذلك إلى إثارة تساؤُلات حاسمة حول التأثير الجيوسياسيِّ المُحتمل لنَجاحِ أو فشلِ المحور في تَحقيق أهدافِه، وإلى أي مدًى يمُكِنُ أن يُعيد تَشكيلَ خريطةِ التَّحالُفاتِ والتَّوازُناتِ في المنطقة، ليس فقط على المستوى الإقليميِّ، بل على المستوى الدَّوليِّ أيضًا.

1 - سيناريو النَّجاح: إعادة تشكيل المنطقة لصالح محور المقاومة؟[1]

إنَّ النَّجـاحَ في تحقيق أهـدافِ «طوفان الأقصى»، التـي يمُكِن تعريفها بشكل أوسع من مجرَّدِ كسرِ الحصار عن غزة، لتَشمل تغييراً في ميزان القُوى في المنطقة لصالح الفلسطينيين، من شأنِه أن يُحدِثَ زلزالاً جيوسياسيًّا بعيدَ المَدى. هذا الزِّلزالُ قد يتمثَّل في النقاط التالية:

- تراجع النُّفوذ الأمريكي والإسرائيلي وتصدُّع صورة الرَّدع: سيُنظَرُ لنَجـاحِ المقاومةِ على أنَّه إخفاقٌ اسـتراتيجيٌّ للولايات المتحدة وإسرائيـل، وإضعـافٌ لمصداقيّتِهـما كقوَّتَينِ ضامنتَـينِ للأمنِ والاستقرار في المنطقة. وقد يَدفعُ هذا بعضَ الدُّوَل العربيةِ لإعادة تَقييم علاقاتها مع واشـنطن، والبحثِ عن شُركاءَ جُدد، لا سـيَّما في ظلِّ التَّوجُّه المُتزايد نحو التَّعدُّدية القطبيّة. كما سيُشجِّعُ قوًى إقليميّةً أُخرى، كروسـيا والصِّين، على مَلءِ الفَراغِ الاستراتيجيِّ، ويُسـهِم في تَشـكيل خريطةِ التَّحالُفات في المنطقة، ويُسرِّعُ من تراجُع الهيمنة الأمريكية.
- تعزيـز مكانة إيران كقـوة إقليمية مركزية: سـيُعزِّزُ نجاحُ المحور مـن مكانة إيران كقـوة إقليمية لا يُسـتهان بهـا، ويُثبِـتُ نجاعةَ

1 - محمود الزارعي: «وحدة الساحات.. من أهم إنجازات طوفان الأقصى"، (10-2-2024) تاريخ الاطلاع (9-11-2024) على الرابط: https://tinyurl.com/22qdbkoc

استراتيجيّتها في دَعم حركات المقاومة. وهذا التَّعزيزُ لن يكونَ مقتصرًا فقط على الجانب العسكريِّ، بل سيَشمل أيضًا النُّفوذَ السِّياسيَّ والاقتصادي. وسيُشجِّعُ دُولًا أخرى على التَّقرُّب من طهران، وربمَّا الانضمام لمحور المقاومة، وهذا يُسهم في رسم خريطةِ التَّحالُفات في المنطقة، ويُعزِّزُ نفوذَ إيران.

- إعادة تشكيل النِّظام الإقليمي وتآكُل النِّظام العربيِّ الرَّسمي: يُحتمَلُ أن يُؤدِّي نجاحُ المقاومة إلى تحوُّلاتٍ جذريّة في النِّظام الإقليميِّ العربيِّ، تُضعِفُ من شرعيّةِ بعضِ الأنظمة العربيّةِ الرَّسمية، وتُعزِّزُ من دور القُوى الشَّعبية التي تَرى في المقاومةِ مصدرَ إلهامٍ. وقد نَشهد صعودَ تيّاراتٍ سياسيّةٍ جديدةٍ تُطالب بموقفٍ أكثرَ صرامةً تُجاهَ إسرائيل، وربمَّا بقَطعِ العلاقاتِ معَها، وهذا يُسهِمُ في تغيير ديناميكيّاتِ المَنطقةِ بشكلٍ كبير.
- تصاعُد حركاتِ المُقاومة في المنطقة وزيادة التوتُّرات: قد يُلهم نجاحُ "طوفان الأقصى" فصائلَ مُسلَّحةً أُخرى في المنطقة، ليس فقط حزب الله في لبنان، بل أيضًا جماعات أخرى في مناطق مختلفة. وهذا التأثير قد يتمثَّل في تبنِّي استراتيجيّاتِ مُقاوَمةٍ جديدةٍ أو في زيادة العمليّاتِ العسكرية. ومن شأن هذا أن يَزيد من التوتُّرات في المنطقة، ويُعقِّدَ جهود التوصُّلِ إلى حلول تُناسبُ

أمريكا وإسرائيل، ويُؤدِّي إلى مزيد من عدم الاستقرار والتَّهديدِ للمَشروع الأمريكيِّ في المنطقة.

- تغيير قواعد الاشتباك مع إسرائيل واعتماد استراتيجية جديدة: ستُجبَرُ إسرائيلُ على إعادة النَّظر في استراتيجياتها الأمنيّةِ والعسكريّةِ، والبحث عن سُبلٍ جديدةٍ للتَّعامُل مع التَّهديدات المُتزايدة من قوى المقاومة. وقد يُجبِرُها ذلك على تقديم تنازلات كبيرة لوقفِ العُنف. هذا التَّغييرُ في قواعد الاشتباك قد يُؤثِّرُ أيضًا على الدَّعم الدَّوليِّ لإسرائيل، خصوصًا إذا استمرَّتْ في انتهاج سياساتٍ قمعيّةٍ ومُنفلتةٍ من قيود الأعرافِ الدَّوليّةِ، كما تَفعل اليومَ في غزة ولبنان.

2 - سيناريو الفشل: ضربة موجعة لمحور المقاومة؟(1)

في المقابل، إذا فشل محورُ المُقاوَمةِ في تحقيق مكاسبَ مَلموسةٍ من حرب "طوفان الأقصى"، فإن ذلك قد يُؤدي إلى تداعيات جيوسياسية مُغايرة تمامًا، تتمثَّل في:

1 - موقع الشرق الإلكتروني: "عام على حرب غزة.. رابحون وخاسرون في ميزان معارك لا تزال محتدمة» (7-10-2024) تم الاطلاع عليه في (13-11-2024) على الرابط: <https://tinyurl.com/2xkv7pru>

- **تعزيـز النُّفـوذ الأمريـكي والإسرائيـلي وتأكيد صـورة القوة:** سيُؤدِّي فشلُ المُقاوَمة إلى تأكيد فاعليّة الاستراتيجيات الأمريكيّة والإسرائيليّـة، و»حتمية» التفوُّق العسـكريِّ الإسرائيليِّ. وتَعزيز مكانة واشـنطن وتل أبيب في المنطقة، وتشجيع دُول أُخرى على التَّطبيع مع إسرائيل، وعزل لفلسطينيِّينَ وإضعاف مَوقفهم.
- **إضعاف مكانة إيران وحلفائها وتراجُع مصداقيتهم:** سـيُضعفُ فشـلُ "طوفان الأقصى" من مصداقيّة إيرانَ كداعم رئيسيٍّ لقُوى المقاومة، ويُثير تَسـاؤلات حولَ فاعليّة استراتيجيتها في مواجهة إسرائيل. وسيُؤدي ذلك إلى تراجُع الدَّعم الشَّعبيِّ لهذه الحركات، ويُصعِّـبُ عليها مواصلةَ نشـاطها، وقد يُؤدِّي أيضًـا إلى توتُّرات داخليّـة بين أطراف محور المُقاومـة ومُعارضيهم الذين يَدورونَ في الفَلك الأمريكيِّ الإسرائيليّ.
- تكثيف الضُّغوط على حركات المقاومة ومحاولات لنَزع سلاحها: تتعرَّضُ حركاتُ المُقاومة الفلسطينية واللُّبنانية حاليًّا لضُغوط دوليّة وإقليميّة شـديدة لتَغيير سياساتها ونَزع سـلاحها، وربمَّا تُصنَّفُ كمُنظَّمات إرهابية من قِبَل دُوَل أُخرى، وهذا يُسـهمُ في الحدِّ من قدرتها على الحركة السياسـية، ويَعزلُها دوليًّا. وقد يُصاحبُ ذلك أيضًا عقوباتٌ اقتصادية ومالية أكثر صرامةً.

- تسريع التَّطبيع العربيِّ-الإسرائيليِّ وتَهميش القضية الفلسطينية: قد يُشجِّعُ فشلُ المقاومة مزيدًا من الدُّول العربية على تطبيع علاقاتها مع إسرائيل، والانضمام إلى «اتفاقيات إبراهام»، وهذا يُهمِّشُ القضيّةَ الفلسطينية على السّاحة العربية، ويُصعِّبُ إيجادَ حلٍّ عادل لها. وقد يُؤدِّي ذلك أيضًا إلى تَغيير في الخطاب العربيِّ الرَّسميِّ بشأن الصِّراع، ليُصبح أكثرَ تركيزًا على «التَّعاون" معَ إسرائيل بدلاً من دعم الفلسطينيِّين.
- تراجُع الدَّعم الشَّعبي للمقاومة وفقدان زخمها: قد يُؤدِّي فشلُ "طوفان الأقصى"، لا سيَّما بعد تكبُّد خسائرَ بشريّة ومادّيّة فادحة، إلى تراجُع الدَّعم الشَّعبيِّ للمُقاومة في المنطقة، وفُقدانها لِزَخمها وتأثيرها، وإضعاف قدرتِها على مُواصَلةِ المُقاومةِ على المَدى البعيد.
- تكريس الانقسام الفلسطيني وصعوبة تحقيق الوحدة: قد يُعمِّقُ فشلُ المُقاومة من الانقسامات الفلسطينيّة، ويُصعِّبُ من جهودِ المُصالَحة الوَطنيّة بين الفَصائلِ الفلسطينيّة، ويُضعفُ من المَوقفِ الفلسطينيِّ في أيِّ مُفاوَضاتٍ مُستقبليّة، وقد يُؤدِّي ذلك أيضًا إلى زيادةِ التَّنافُس بين الفصائل على النُّفوذ والشَّرعية.
- يَجب التَّذكرُ أنَّ هذه التَّحليلات تَبقى مُجرَّدَ سيناريوهات

مُحتملـة، وأنَّ الواقعَ قـد يكون أكثرَ تعقيدًا، ويَشـمل مزيجًا من هذه التَّداعيات. كما أنَّ العوامل الأخرى، مثل التطوُّراتِ الدَّولية والإقليمية، ستَلعبُ دورًا مُهمًّا في تشكيل المشهدِ الجيوسياسيِّ في المنطقة بعد حرب «طوفان الأقصى".

سادسًا: آفاق التَّعاون بين فاعلي محور المُقاوَمة بعدَ طوفان الأقصى

أعـادَت حربُ طوفـان الأقصى، التي شـكَّلَت نقطةَ تحـوُّلٍ في الصِّراع الإسرائيليِّ الفلسطيني، طرحَ تساؤلاتٍ جوهريّةٍ حولَ مُستقبلِ محورِ المُقاوَمةِ وآفـاقِ التَّعاوُنِ بين فاعليـه في المرحلة المُقبلة. فبينَما كشـفَت الحربُ عن مستوى تَنسـيقٍ غيرِ مَسبوقٍ بينَ بعض فصائل المقاومة، إلا أنَّها أبرزَتْ أيضًا التَّحدِّياتِ والعَقباتِ التي تَعترِضُ تَعزيزَ هذا التَّعاوُنِ وتَحويلَه إلى إطار عملٍ استراتيجيٍّ مَتين.

1 - العوامل المُعزِّزة للتَّعاون

- **العدوُّ المشـترك (إسرائيل والولايات المتحدة):** يُشـكِّلُ العَداءُ المشترك لإسرائيل والولايات المتَّحدة، الرّاعي الرئيسيِّ لها، عاملاً أساسـيًّا في توحيدِ فَصائلِ محـورِ المُقاوَمة، لأنهـا جميعًا تعتبرُ إسرائيل والولايات المتَّحدةَ تهديدًا وجوديًّا لأهداف وطموحاتها.

وهذا العامل المشـترك يَدفعُها نحوَ التَّعاوُنِ والتَّنسيقِ في مواجهة ما يَعتبرونَه عَدوًّا مشتركًا.

- **التَّجربة الميدانية المشـتركة خلال الحرب:** مثَّلتْ حربُ طوفان الأقصى، بغَضِّ النَّظر عن نتائجها، تجربةً ميدانيّةً مُشتركةً، عزَّزَت من التَّنسـيق والتَّعاون بين بعضِ الفصائل، ولا سـيَّما في مجال تبادُلِ المَعلومات الاستخباراتية، وتنسـيقِ العمليّات العَسكرية. وهذه التَّجربةُ المُشـتركةُ بنَت جسورَ ثقةٍ قد تُشكِّلُ قاعدةً لتَعاوُنٍ أعمَقَ في المستقبل.
- **الحاجة إلى الدَّعم المُتبادَل:** تَحتاج فصائلُ المُقاوَمة إلى الدَّعم المُتبادَل في مختلف المَجالات، سواء كان ذلك دعمًا عسكريًّا أو لوجستيًّا أو ماليًّا أو إعلاميًّا. هذا الاعتماد المُتبادَلُ يُعزِّزُ من أهميّةِ التَّعاوُن والتَّنسيق بينَها.
- **تزايُـد الوعي بأهمية وحدة السّـاحات:** أظهرَتْ حـربُ طوفان الأقصى أهميّةَ وحدة السّـاحات في مُواجَهـة إسرائيل، حيثُ إنَّ انخراطَ فصائلَ من مناطقَ مُختلفة في القتال وضعَ إسرائيلَ تحتَ ضغطٍ كبير. هذا الوَعيُ المُتزايدُ يَدفعُ نحوَ تَعزيزِ التَّنسيقِ والتَّعاوُنِ بينَ فصائلِ المُقاوَمة في مختلف السّاحات.
- **تراجع النُّفوذ الأمريـكي وتزايُد التَّنافس الدَّولي:** يَشـهدُ النِّظامُ

الدَّوليُّ تحوُّلات جذريّةً مع تراجُعِ النُّفوذ الأمريكيِّ وتَصاعُدِ قُوًى دَوليّـةٍ أخرى. هذا التَّغييرُ في موازيــن القُوى يَخلق فرصًا جديدةً لمحور المقاومة لتَعزيز تعاوُنِه وتَوسيعِ نُفوذِه.

2 - العوامل المُعيقة للتَّعاون

- **تبايُن الأولويات والأجندات بين الفصائل:** على الرغم من العدوِّ المشــترك، إلا أنَّ فصائلَ المُقاومة تتبايَنُ في أولوياتِها وأجنداتِها السِّياســية. فهنــاك فصائلُ تُركِّــزُ على تحرير فلســطين بالكامل، وأُخرى على قضايا مُحــدَّدة كرَفعِ الحصار عن غزة. وهذا التَّبايُنُ في الأولويات يُصعِّبُ من بلورة استراتيجيّةٍ مُشتركة للعمل.
- **الاختلافات الأيديولوجية والسياسية:** هناكَ اختلافاتٌ أيديولوجيّةٌ وسياســيّةٌ بين فصائلِ المُقاوَمة، وهذه الاختلافاتُ قد تُؤدِّي إلى خلافات وتَوتُّرات بينَها.
- **الضُّغــوط الدَّولية والإقليميــة:** تتعرَّضُ فصائــلُ المُقاوَمة لضغوطٍ دَوليّــةٍ وإقليميّة كبيرة للتَّخلِّي عن المقاومــة والانخراط في عملية التَّسوية. وهذه الضُّغوطُ تُشكِّلُ عقبةً كبيرةً أمامَ تعزيز التَّعاوُن بينَها.
- **مخاطر التَّصعيد واندلاع حرب إقليمية:** يُخشى من أن يُؤدِّيَ تعزيزُ التَّعــاوُنِ بينَ فصائلِ المُقاومةِ إلى تصعيد المَوقف واندلاع حربٍ

إقليميّةٍ واسعة. وهذه الخشـيةُ تَدفعُ بعضَ الفَصائلِ إلى التَّحفُّظِ في تعاونِها مع الفَصائلِ الأُخرى.

- **التَّحدِّيات اللُّوجستيّة والأمنية:** تُواجهُ فصائلُ المُقاوَمة تحدِّيات لوجستيّةً وأمنيّةً كبيرةً في التَّنسيق والتَّعاوُن فيما بينَها، لا سيَّما في ظلِّ الحِصار والرَّقابة المُشدَّدةِ التي تَفرِضُها إسرائيل.

3 - عوامل إضافية مُؤثِّرة

- **تأثـير الدِّيناميكيات الدّاخليـة على الفصائل:** الوضعُ السِّـياسيُّ والاقتصاديُّ والاجتماعيُّ الداخليُّ لكلِّ فصيلٍ يُؤثِّرُ بشـكل كبير على قُدرتِه على التَّعاوُن مع الفصائل الأخرى.
- **دور القوى الإقليمية الأخرى:** تَلعب قوًى إقليميّةٌ أُخرى كالجمهورية الإسلامية الإيرانية، تركيا، السـعودية، ومصر، دورًا مُهمًّا في تشكيل ديناميكيات المَنطقة، وتُؤثِّرُ مواقفُها من محور المُقاومة على مُستقبَلِه.
- **تطوُّر التُّكنولوجيا العسكرية والأمنية:** التَّطوُّرُ المُتسارعُ في التُّكنولوجيا العسكرية والأمنية يُؤثِّرُ على توازُنات القُوى في المنطقة، وقُدرةُ محورِ المُقاوَمةِ على مواكبةِ هذا التَّطوُّرِ عاملٌ حاسمٌ في مُستقبلِه.

سابعًا: استشراف مستقبل التَّعاون

هناك ثلاثةُ سيناريوهات مُحتمَلة:

- **التَّعاوُن المُعزَّز:** في هذا السِّيناريو، تتغلَّبُ فصائلُ المُقاومةِ على التَّحدِّيـاتِ وتُعزِّزُ تعاونَها في مختلف المَجالات، بحيثُ تتمكَّنُ من مُواجَهةِ إسرائيلَ بشكلٍ أكثرَ فعاليّةً.
- **التَّعاوُنُ المَحدود:** في هذا السِّـيناريو، يَستمرُّ التَّعاوُنُ بينَ فصائلِ المُقاوَمة ولكنْ بشكلٍ محدودٍ، دونَ تحقيقِ تقدُّمٍ كبير.
- **تراجُع التَّعاوُن:** في هذا السِّيناريو، تتفاقَمُ الخلافاتُ بينَ فصائلِ المُقاوَمةِ ويَتراجعُ التَّعاوُنُ بينَها، وهذا يُضعف من قدرتها على مواجهة إسرائيل.

خاتمة

يُمثِّلُ محورُ المُقاوَمةِ ظاهرةً مُعقَّدةً ومُتعدِّدةَ الأوجُهِ في منطقة غرب آسيا. وقد أبرزَت حربُ طوفان الأقصى دورَ المحور، وأثارَت تسـاؤلات حاسـمةً حول مُسـتقبله. يُواجِهُ المحورُ تحدِّيات كبيرةً، لكنَّـه يتمتَّعُ أيضًا بعواملَ قد تُعـزِّزُ التَّعاوُنَ بين فاعليه. ويَبقى مُسـتقبَلُ المحورِ رَهنًـا بتطوُّرات الأوضاع في المنطقة، وبقرارات الفصائل الاسـتراتيجية. ومـن المُهِمِّ مراقبةُ تطوُّراتِ هذا المحورِ لتَحليـلِ تأثيرِه على ديناميكيات المنطقـة والصِّراعِ الإسرائيليِّ-الفلسـطينيِّ. وإنَّ فَهمَ التَّحدياتِ والفُرصِ التـي يُواجِهُها المحورُ ضَروريٌّ لتَقييمِ تأثيرِه على مستقبل المنطقة.

المصادر والمراجع

■ موقـع الخنـادق الإلكتروني – «الغرفة المشـتركة لفصائـل المقاومة الفلسطينية: الجبهة الموحّدة»، (28-12-2021) تاريخ الاطلاع (9-11-2024) على الرابط: https://tinyurl.com/2cyvxg3d

■ إبراهيـم الأمين – جريدة الأخبار – «انتظام قوى محور المقاومة دعمًا لغزّة | شريط عمليات يمتدّ من لبنان إلى سوريا والعراق وصولاً إلى اليمن»، (20-10-2023) تاريـخ الاطلاع (13-11-2024) على الرابط الآتي: https://al-akhbar.com/Politics/371495

■ يوسف أبو وطفة – موقع العربي الجديد الإلكتروني – "'الغرفة المشتركة' ... جسـم فصائـلي لإدارة المواجهة مـع الاحتـلال»، (13-5-2023) تاريخ الاطلاع (14-11-2024) على الرابط: https://tinyurl.com/24cuayvk

■ يوسـف الشـيخ – موقع المقاومة الإسـلامية لبنـان – «أهمية الجبهة اللبنانية في معارك الدفاع عن غزة (تحليل في الاستراتيجية العسكرية والمبدأ التشغيلي)» (11-2-2024) تاريخ الاطلاع (11-2-2024) على الرابط الآتي: https://moqawama.news/essaydetails.php?eid=36846&cid=330

■ صن تزو – فن الحرب (نسخة إلكترونية) – تر. رؤوف شبايك – تاريخ

الاطلاع (15-11-2024) على الربط:

https://archive.org/download/diwan_20170920/%D981%%D920%86%%D8%A7%D984%%D8%AD%D8%B1%D8%A8.pdf

■ أرنستو تشي غيفارا – حرب العصابات (نسخة الكترونية) – تر. ناهض منير الريس – تاريخ الاطلاع (15-11-2024) على الرابط الآتي : https://tinyurl.com/28mclb8q

■ عماد عقل – مدونة الميادين نت – "من 'سيف القدس' إلى سهول القليلة (استراتيجية الاقتراب الموزع) (1-5-2023) تاريخ الاطلاع (15-11-2024) على الرابط الآتي:

https://tinyurl.com/243d9xmp

■ مركز دراسات غرب آسيا – موقع الخنادق – ما هي القيمة الاستراتيجية لغرفة العمليات المشتركة؟ (11-5-2023) – تاريخ الاطلاع (14-11-2024) على الرابط:

https://tinyurl.com/2cxbxvpt

■ موقع ميدل إيست نيوز الإلكتروني – «البرلمان الإيراني يعلن عن معاهدة دفاعية مشتركة لـ'محور المقاومة' ضد إسرائيل»، (18-1-2021) تاريخ الاطلاع (7-11-2024) على الرابط:

https://tinyurl.com/2a5yv8to

■ صالح الحاج حسـن – موقع مركز الزيتونة للدراسـات – معركة سيف القدس في الميزان (29-4-2022) تاريخ الاطلاع (8-11-2024) على الرابط:
https://tinyurl.com/234fkzft

■ محمود الزارعي – موقع الخنادق الإلكتروني – «وحدة الساحات.. من أهم إنجـازات طوفان الأقصى» (10-2-2024) تاريخ الاطلاع (9-11-2024) على الرابط:
https://tinyurl.com/22qdbkoc

■ موقع الشرق الإلكتروني – «عام على حرب غزة.. رابحون وخاسرون في ميـزان معارك لا تزال محتدمـة» (7-10-2024) تم الاطلاع عليه في (13-11-2024) على الرابط:
https://tinyurl.com/2xkv7pru

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

المشرف العام: الشيخ جلال الدين علي الصغير
مدير المركز د. محمد مرتضى
009613821638